الأهرام
١٢ / ٣ / ١٩٩٥

# عصر من الغناء.. عصر من الشموخ

فاروق جويدة

طاف بنا الاذاعى القدير جلال معوض طوال ليالى رمضان الكريم فى رحلة فنية رائعة الصدق والجمال فى رحاب أم كلثوم اسطورة الغناء، والملكة المتوجة على الوجدان العربى نصف قرن من الزمان بدون عرش أو حراس أو وصاية.

اختار جلال معوض مجموعة نادرة من تسجيلات حفلات أم كلثوم وقدمها لنا فى وجبة سحور نظيفة ونقية لم تلوثها هرمونات الاسفاف وأمراض الفقر الوجدانى والتلوث النفسى وغبار الزمن الموبوء.

طافت معنا أم كلثوم وطفنا معها نشاهد اشجارها العتيقة ومعنا ومعها فرسان الفن الجميل: رامى.. وبيرم .. وعبدالوهاب.. والسنباطى.. وزكريا احمد.. والقصبجى.

ورغم أن ذكرى أم كلثوم العشرين مرت فى حياتنا فى رمضان على استحياء واحتفى بها الاعلام العربى أكثر مما احتفى بها اعلام مصر وهو الأولى والاحق إلا أن هذه التسجيلات النادرة لأغانى حفلات أم كلثوم التى قدمها البرنامج العام طوال ليالى رمضان ، كانت أكبر هدية لعشاق فنها فى ذكرى رحيلها.

لم تكن أم كلثوم مطربة غنت كلاما جميلا ورحلت ولكنها كانت علامة بارزة فى جيل عظيم.. وصورة لوجه حضارى تمتع بالعمق والصدق والاصالة.

لم تكن أم كلثوم شجرة وحيدة فى صحراء ايامنا الشاسعة.. بل كانت شجرة عريقة فى حديقة مليئة بكل انواع العطاء الانسانى الخلاق.. وكان الفن ركنا من اركان هذه الحديقة..

وعلى امتداد هذه الحديقة كانت هناك اركان للادب.. والسياسة.. والاقتصاد.. والعلوم .. والارادة.. والصلابة.. والدور .. والمسئولية.

وكان هناك ارتباط اصيل وقوى بين صوت أم كلثوم ومصانع طلعت حرب ومشروعاته.. وبين كلمات رامى.. ومواقف سعد زغلول.. وموسيقى رياض السنباطى وعبقريات العقاد.. كانت هناك سيمفونية رائعة كل واحد فيها يعرف دوره ومسئوليته فى اداء هذا اللحن الجميل كان هناك ارتباط وثيق بين ايام طه حسين وتمثال نهضة مصر الذى صاغه حجرا نحاتنا العظيم مختار.

وكانت سلوكيات الناس واخلاقياتهم ومواقفهم وقناعاتهم هى الأرض الطيبة التى احتوت كل هذه الاشجار بالرعيه والرعاية والايمان.

كان الشعب المصرى هو المياه النظيفة التى تدفقت فى شرايين هذه المواهب الفذة فكان عطاؤها الصادق الأصيل..

لم تكن أم كلثوم نبتة شيطانية شامخة ظهرت على ضفاف النيل، بل كانت نخلة مصرية اصيلة احاطها النيل برعايته واحتوتها الأرض بكل مشاعر الحب فيها.

وبن الخطأ الجسيم ان نفصل مظاهر التقدم عن بعضها البعض.. وكذلك مظاهر التخلف.

لا يمكن ان يكون هناك فن أصيل دون اقتصاد سليم مخطط ولا يمكن ان يكون هناك ابداع ابنى عظيم دون سياسة حكيمة واعية لان الحياة مجموعة من الروافد قد تختلف فى منابعها ، ولكنها تصب فى نهر واحد.. وقد ياتى النهر شامخا ضاريا يعرف طريقه.. وقد يبدو مكسورا هزيلا ضائعا فى ربوع الأرض بلا هدف أو غاية.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام
١٢ / ٣ / ١٩٩٠

جاءت ام كلثوم فى زمن يعرف هدفه.. ويدرك غايته.

ويتعجب الانسان من احوالنا .. فالارض هى الارض.. والناس هم الناس.. ولكن الشموخ اصبح ضيفا غريبا رغم انه كان يوما امام عيوننا فى كل شىء.. فنا.. وادبا.. واقتصادا.. وسلوكا.. واخلاقا..

فما الذى تغير فينا.. وما الذى حدث فى مكوناتنا السلوكية والنفسية والاخلاقية والانسانية..

فالارض التى انجبت كل هذه الاشجار العملاقة.. اصابها الكسل والخمول.. والبوار.. والحديقة التى ملأت اسماع الدنيا باصواتها الجميلة اصابها الهزال.. فماذا حدث فينا.

كان الجمال يوما قيمة عظيمة فى حياتنا.. وكانت سلوكياتنا كشعب تعكس كل مظاهر هذا الجمال..

كان الانسان فقيرا.. ولكنه كان نظيفا وكان قانعا..

وكان الاب رحيما.. وكان الابن صورة للطاعة النبيلة.. وكان الاباء رمزا للخير الجميل.

وكان الامن ضيفا مقيما فى حياتنا.. فلم نعرف العنف ولا التسلط ولا العدوان إلا قليلا .. واذا ظهرت بعض الخفافيش فى سمائنا كنا نحاصرها من كل جانب.. وتسقط معها أشباح الليل الطويل.

كنا شعبا محبا للفن.. عاشقا للجمال.. يعبد الله بلا ادعاء.. وينقى النفوس بلا وصاية.. ويعرف قيمة الانتماء والعمل والجهد والمال الحلال.. بدون أغان وطنية.. أو بهرجة كلامية.

ولكن الحديقة الجميلة تحولت الى غابة كبيرة، وكان من الصعب أن تعيش البلابل وسط الغربان.. ولهذا امتلأت شاشات التليفزيون بهذه الاصوات القبيحة التى ابتلانا بها الله ضمن أشياء كثيرة.. ووجدت هذه الغربان من يفتح لها الابواب.. ويشترى اغانيها ويروج سمومها.. وينتج لها الافلام والمسلسلات.. وكانت واحدة من أكبر الجرائم التى انتهكنا بها حرمة الوجدان المصرى.. وبدأت ملامح الجمال والشموخ والاصالة تختفى مواقعها وترحل.. وكان من السهل بعد ذلك ان نرى تجاوزات كثيرة لا يقرها عقل ولا يقبلها منطق.. فحينما يرحل الجمال ترتفع قامات القبح فى كل شىء..

● ان نقطع أشجار حديقة الاورمان العريقة لتقيم مدينة للملاهى على جزء منها وكان طلبة جامعة القاهرة تنقصهم كوارث اخرى غير مناهج التعليم التى تحاصر عقولهم.

وقد طرح الصديق الاستاذ سلامه أحمد سلامه هذه الماساة .. ثم أضاف لها ماساة اخرى حول منيحة حديقة الزيتون فى المعادى .. ولاأدرى ماهو سر المذابح التى تمارسها الدولة الآن ضد كل ما هو أخضر.

● ان يقرر حراس النيل اقتطاع جزء منه فى قلب العاصمة وعلى مسمع ومرأى منا جميعا بحجة اقامة «كورنيش جديد» وكان سكان الزمالك ينقصهم هذا الكورنيش وعندهم اعرق نوادى القاهرة وهو نادى الجزيرة.. ولكن هذا الكورنيش الجديد يمهد بالتاكيد لاقامة مجموعة ناطحات سحاب خلفه لان هذه المنطقة بالذات هى الوحيدة الباقية التى لم تلوثها بعد الخوازيق الخرسانية لناطحات السحاب.

لا تستطيع حكومة فرنسا مرة واحدة من مجرى نهر السين، ولكن فى مصر تستطيع ان تردم النيل كله وتجد من يساندك وهذا هو القبح حينما يحاول ان يتستر خلف دعاوى الجمال.

● ان يحاصرنا التليفزيون بمجموعة من البرامج التى تسخر من الغلابة والمساكين من الباعة والبوابين الفقراء الذين جاءوا للبحث عن لقمة عيش شريفة ونظيفة.. وكنت اتمنى أن يدخل المسئولون عن هذه البرامج الى احد المحلات الكبيرة فى القاهرة لكى يمارسوا فيه نكاتهم الساذج وليشاهدوا بعد ذلك ما يحدث لهم.. ولكن الغلبان فى هذا البلد غلبان فى كل شىء.. حتى فى سخرية التليفزيون من فقره وحاجته.

● ان تؤجر دار الاوبرا جزءا من حرمها لكى تقام عليه «قهوة» فى رمضان لشرب الشيشة ولعب الكوتشينه ونحن بهذا السلوك لا نفرق بين مكان له احترامه وقدسيته.. واماكن اخرى للهو والتسلية..

● ان نقتطع الاف الامتار من حديقة عريقة كان المرضى فى مستشفى الامراض العقلية بالعباسية يمارسون فيها جنونهم الجميل بعيدا عن جنوننا القبيح وكاننا بخلنا عليهم بان يتنفسوا هواء نقيا بعد أن نشبت عقولهم فى دوامة زمن لا يرحم ولا ادرى ما هو سر كراهيتنا الشديدة فى السنوات الأخيرة للحدائق.

مظاهر كثيرة للقبح تحاصرنا الان وطنا.. وشعبا.. وسلوكا..

ان الجمال لا يتجزأ ابدا.. وحينما يظهر فى مكان ما فإنه لا يترك للقبح سبيلا.. وكذلك القبح اذا انتشر فى ارض ما، فإنه لا يترك للجمال طريقا.. ويبدو اننا ادمنا القبح واعتدنا عليه..

ووسط كل هذا الركام عادت ذكرى ام كلثوم العشرون تدق ابوابنا بعنف وتهز قلوبنا فى اصرار وتذكرنا بزمان جميل فى كل شىء.. فى ناسه.. واخلاقه.. وفنه.. وادبه.. ومروءته.. وكان صوت أم كلثوم يندفع كالصهيل الواثق فوق مياه النيل الصامتة لعل النهر يصحو ذات يوم من سباته الطويل ويعود لعنفوانه القديم.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية